التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية؛ مكوناتها، ومرتكزاتها، وتطبيقاتها المعاصرة

د. أنس نجيب العلوي

دكتوراه في الحديث وعلومه والمذاهب الفكرية المعاصرة

الإمارات العربية المتحدة

ملخص

تناول البحث موضوع "التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية" موضحًا مكوناتها، ومرتكزاتها، وتطبيقاتها المعاصرة. مبرزا سبق السنة النبوية في التأصيل لمفهوم التنمية المستدامة في المجال البيئي، من خلال أحاديث نبوية شريفة تشجع على عمارة الأرض، والنهي عن الإفساد فيها، وتحريم الإسراف في الموارد الطبيعية، والحث على حسن استثمارها.

من خلال مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث حوى كل منها ثلاثة مطالب، وخاتمة؛

ركز البحث على مكونات التنمية البيئية المستدامة، وهي الماء والهواء، والحيوان، والنبات، فبين العناية النبوية بها وبالحفاظ عليها وتنميتها، عبر توجيهات عملية مثل ترشيد استهلاك الماء، حماية الحيوانات من الإيذاء، وتوسيع الرقعة الخضراء.

ثم عرج على المرتكزات التي تختص بها التنمية المستدامة في الإسلام، وهي البعد العقدي الذي يربط عمارة الأرض بالمسؤولية أمام الله، والبعد الأخلاقي كالرفق والإحسان، والشمولية التي تراعي التوازن بين الأبعاد الحسية والروحية.

ليتطرق بعد ذلك إلى تطبيقات معاصرة يمكن اقتراحها أو تطويرها استلهاما من التوجيهات النبوية لتطوير حلول للمشكلات البيئية الراهنة، مثل تحلية المياه، تقنيات الري الحديث، والمحميات الطبيعية.

ليخلص البحث في خاتمته إلى نتائج أهمها: أن التوجيهات النبوية جاءت بوسائل وقائية وعلاجية ناجعة، تعد نواة الحلول المعاصرة للمشكلات البيئية، كما أنها تدفع نحو تبني التقنيات الحديثة للحفاظ على الموارد.

ويوصي البحث ضمن توصياته بلفت عناية الباحثين والمهتمين إلى استخراج مزيد من أصول وقواعد التنمية البيئية المستدامة المبثوثة في نصوص السنة النبوية مع محاولة تنزيلها على أرض الواقع بما يتوافق مع متطلبات العصر.

الكلمات المفتاحية: التنمية المستدامة، البيئة، الماء والهواء، النبات والحيوان، التطبيقات المعاصرة.

Abstract

The research addresses the topic of "Sustainable Environmental Development in the Prophetic Tradition," highlighting its components, foundations, and contemporary applications. It emphasizes the Prophetic tradition's pioneering role in establishing the concept of sustainable development in the environmental field, as demonstrated by noble Prophetic sayings encouraging the cultivation of the earth, prohibiting corruption within it, forbidding the overuse of natural resources, and promoting their optimal utilization.

Through an introduction, a preface, three chapters (each containing three sections), and a conclusion, the research focuses on the components of sustainable environmental development—water, air, animals, and plants—showcasing the Prophetic care for preserving and developing these resources. It details practical guidance such as rationalizing water usage, protecting animals from harm, and expanding green spaces.

The study also examines the foundations specific to sustainable development in Islam, including:

Theological Dimension: Linking the cultivation of the earth to accountability before God.

Ethical Dimension: Advocating kindness and excellence.

Comprehensive Perspective: Balancing physical and spiritual aspects.

It further explores contemporary applications inspired by Prophetic guidance to address current environmental challenges, such as water desalination, modern irrigation techniques, and the establishment of natural reserves.

The conclusion underscores key findings, including the fact that Prophetic teachings provided effective preventive and remedial measures, forming the foundation for modern solutions to environmental problems. Moreover, these teachings encourage the adoption of advanced technologies to preserve resources.

Among its recommendations, the research calls for researchers and specialists to further extract principles and rules of sustainable environmental development embedded in the Prophetic tradition and work on their practical implementation in line with contemporary needs.

Keywords: Sustainable Development – Environment – Water and Air – Plants and Animals – Contemporary Applications.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم، هداية للعالمين، وعبرة للمتأملين، ونورا للمستبصرين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فإن موضوع التنمية المستدامة -مع راهنيته وآنيته وشدة الاهتمام به في الوقت المعاصر على الصُّعُد المحلية والعالمية- موضوع قديم قدم الشريعة الإسلامية، فقد اهتم به ديننا الحنيف، وخاصة السنة النبوية منذ صدر الإسلام.

فإننا نجد سيدنا ونبينا محمدا ﷺ سباقا إلى الاهتمام به مفهوما، قبل أن يخصَّص له في اللاحق مصطلحه الذي صار عليه علما (التنمية المستدامة)، فقد وردت أحاديث نبوية كثيرة جدا تؤسس لهذا المفهوم بجميع مجالاته، وخاصة منها المجال البيئي، الذي نجد حيزا كبيرا من الأحاديث النبوية تؤصل له، وتنزله بكل مكوناته على الواقع، مما مكن استخراج مرتكزاته، والالتجاء إليه في وقتنا الراهن؛ لحل كثير من المشكلات البيئية.

وهذا ما يود هذا البحث أن يبرزه ويوضحه.

- **أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذا البحث في أهمية موضوعه، وذلك من جهتين:

الأولى: لكونه يتعلق بالمصدر الثاني من مصادر التشريع، وهو السنة النبوية الشريفة، ويبين مدى تأصيله لهذا المفهوم الذي لم يتفطن إليه العالم ولا إلى أهميته إلا حديثا.

الثانية: لكونه يتناول موضوعا يحظى باهتمام عالمي واسع وكبير، لصلته الكبيرة بحاضر البشرية ومستقبلها.

- **أهداف البحث:**

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1. ربط التنمية المستدامة –بمفهومها الحديث– بالأصل الثاني من مصادر التشريع وهو السنة النبوية.

2. إبراز دَور الهدي النبوي الشريف في ترسيخ ثقافة الاستدامة البيئية، والسبق في التأصيل لها وتنزيلها.

3. بيان اهتمام السنة النبوية بإعمار الأرض وتنميتها وحثها على استدامة خيراتها؛ مما يبطل النظرة النمطية الخاطئة عنه وعن نظرته للحياة الدنيا.

4. الحث على استحضار البعد الديني والعبادي لإعمار الأرض وتنميتها، وحسن إدارة مواردها.

- **إشكالية البحث:**

وإنني إذ أروم تحقيق هذه الأهداف، أتوسل إلى ذلك بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

إلى أي مدى أَصَّلت السنة النبوية لمبدأ التنمية البيئية المستدامة؟

وما مكونات التنمية البيئية المستدامة التي تناولتها السنة النبوية؟ وما مرتكزاتها المستنبطة منها؟

وكيف يمكن استثمار نصوص الأحاديث النبوية المؤطرة للتنمية البيئية المستدامة، لحل المشكلات البيئية المعاصرة؟

- **الدراسات السابقة والإضافة العلمية:**

تناولت التنمية المستدامة عموما، والتنمية البيئية المستدامة على جهة الخصوص، بحوث كثيرة، لكني سأذكر منها ما كان تناوله تأصيلا من السنة النبوية على جهة الخصوص:

أولا: بحوث في التنمية المستدامة في السنة النبوية بشتى مجالاتها.

1. بحث: إدارة الاستدامة والتنمية المستدامة في القرآن والسنة، لمأمون يوسف سالم.

2. بحث: التنمية المستدامة في السنة النبوية، دراسة تأصيلية، لبكر عبد الله الخرمان.

ثانيا: بحوث في التنمية البيئية المستدامة خاصة.

1. بحث: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، للدكتور محمد عبد القادر الفقي.

2. بحث: آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، لبكر عبد الله الخرمان.

وقد أفدت من هذه الأبحاث، خاصة فيما له علاقة بالتأصيل للموضوع، لكني أضفت لمستي وأبرزت جهدي من خلال طريقة التناول والاستنباط، إضافة إلى التنزيل الواقعي العملي على العصر الحاضر؛ فإني أزعم أني:

- أستنبط من نصوص السنة بصورة أعمق، وشكل أدق، بحيث أتجاوز استخراج ما هو واضح بين شائع من هذه النصوص، إلى ما قد يخفى إلا بمزيد إعمال نظر، مع مراعاة عدم التكلف.

- أستخرج من الهدي النبوي العملي والتوجيهات النبوية في التعامل مع البيئة ركائز التنمية المستدامة في السنة النبوية.

- أستلهم من هذه النصوص كيفية الاستفادة المعاصرة من هذه التوجيهات والتصرفات النبوية لعلاج المشكلات البيئية المعاصرة، إذ إن كثيرا من الأبحاث لم تربط هذه التوجيهات النبوية بالواقع المعاصر.

- **المنهج المتبع في البحث:**

سأركز في تناول بحثي هذا على المنهجين الآتيين:

أولا: المنهج الاستقرائي، باستقراء النصوص النبوية التي تناولت موضوع التنمية البيئية المستدامة.

ثانيا: المنهج التحليلي، بتحليل تلك النصوص وتصنيفها، واستنباط مرتكزات التنمية البيئية المستدامة من خلالها، وبيان كيفية استثمارها في العصر الراهن.

- **خطة البحث:**

سأبني بحثي على الخطة الآتية:

مقدمة: فيها أهمية الموضوع، وأهدافه، وأسئلته، والمنهج المتبع فيه، وخطته.

تمهيد: فيه تأصيل للتنمية المستدامة من السنة النبوية.

المبحث الأول: مكونات التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية.

المطلب الأول: التنمية المستدامة للماء والهواء.

المطلب الثاني: التنمية المستدامة للحيوان.

المطلب الثالث: التنمية المستدامة للنبات.

المبحث الثاني: مرتكزات التنمية المستدامة في السنة النبوية.

المطلب الأول: المرتكز العقدي العبادي.

المطلب الثاني: المرتكز الأخلاقي.

المطلب الثالث: المرتكز الشمولي.

المبحث الثالث: تطبيقات التنمية البيئية المستدامة في العصر الحاضر.

المطلب الأول: تطبيقات معاصرة لتنمية الماء والهواء.

المطلب الثاني: تطبيقات معاصرة لتنمية الحيوان.

المطلب الثالث: تطبيقات معاصرة لتنمية النبات.

خاتمة: نتائج وتوصيات.

تمهيد: تأصيل التنمية المستدامة من السنة النبوية.

اعتمد مصطلح التنمية المستدامة عالميًّا لأول مرة عام 1972م في مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة في ستوكهولم، وهو أول مؤتمر عالمي يجعل البيئة قضية رئيسة، بصفتها أحد أهم مجالات التنمية المستدامة، محاولا تقييد حق الدول في استغلال مواردها الطبيعية، وخاصة تلك المتسمة بطبيعة غير متجددة، بطريقة غير معيقة. وفيه وافق المجتمع الدولي على فكرة توظيف التنمية والبيئة لإدارة المنفعة العامة[1]. وذلك نتيجة للتطورات السلبية التي صاحبت التقدم الصناعي، والنظام الرأسمالي المتوحش، الذي يهدف إلى التنمية الجائرة، القائمة على تعظيم الأرباح والعوائد المالية، من دون أن يلقي بالا للبيئة المحيطة به، ولا أن يعيرها أي اهتمام، لاهثا وراء النفع الفردي والفائدة اللحظية، مما يجعله نظاما جائرا، يتعارض مع مصالح الإنسانية في الإبقاء على بيئة صحية ونظام بيئي متوازن قادر على التجديد. وهذا ما أسهم في تنامي مجموعة من المشكلات البيئية، مثل تلوث الماء والهواء والأرض، وانتشار ظاهرة التصحر، وتزايد معدلات انقراض الكائنات الحية، واستنفاد طبقة الأوزون... وما نجم عن ذلك من انتشار الأمراض الفتاكة والأوبئة المدمرة[2]، التي تنذر بخطر بيئي قادم.

ثم توالت بعد ذلك الدعوات الأممية والعالمية إلى ضرورة إنقاذ هذه الأرض من الأخطار المحدقة بها، حتى وصلت هذه الدعوات إلى مستوى الإلحاح التي هي عليه اليوم، بعد إدراك الضمير العالمي لأهمية التنمية المستدامة لمستقبل العالم، بل وحاضره[3]،

---

1. ينظر: عبد الله بن جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد والإدارة، عدد 1، 2009م، (ص211-210).

2. ينظر: عثمان محمد غنيم، وماجدة أحمد أبو زنط، التنمية المستدامة فلسفتها وأساليبها، دار صفاء، عمان، 2007م، (ص95-55). وعبد المجيد عمر النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مركز البحوث والدراسات، 2000م، (ص212، 213).

3. شهد العالم بعد أول دعوة للاهتمام بالتنمية المستدامة ركودا في هذا الباب مدة 10 سنوات تقريبا، حتى عام 1983م الذي شكل نقطة تحول في هذا الباب حيث طلب الأمين العام للأمم المتحدة من رئيسة وزراء النرويج تشكيل لجنة للبحث عن أفضل السبل التي تمّكن كوكبنا الذي يشهد نموا سكانيا متسارعا من أن يستمر في الإيفاء بالاحتياجات الأساسية من خلال صياغة افتراضات عملية تربط قضايا التنمية بالعناية بالبيئة والمحافظة عليها، وترفع من مستوى الوعي العام بالقضايا ذات الصلة بالموضوع. وبقي الموضوع مكتسيا نوعا من الاحتشام بعد هذه الدعوة قرابة 10 سنوات أخرى حتى تاريخ انعقاد أول قمة بيئية عالمية من نوعها، وهي قمة الأرض، في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية، عام 1992م. التي وضعت حجر الأساس لرؤية عالمية جديدة عن البيئة محولة الأجندة الكونية إلى التنمية المستدامة من خلال إثارة اهتمام الرأي العام العالمي بالعلاقة المتبادلة بين الأبعاد البيئية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للتنمية، كما مهدت الطريق أمام مفهوم التنمية المستدامة لاختراق الخطاب الاقتصادي والسياسي. ينظر: عبد الله بن جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة، (ص213-210).

وفي مقابل هذه الدعوات المتأخرة جدا إلى العناية بالتنمية المستدامة؛ نجد أن السنة النبوية قد سبقت إلى التأصيل لهذه التنمية، بجميع مكوناتها، تنظيرا وتطبيقا، داعية إلى إدارة الموارد واستغلالها برشد وعقلانية واعتدال، مراعية الحاضر، ومستشرفة المستقبل.

وهذه مجموعة من التوجيهات النبوية المؤطرة للتنمية المستدامة بمجالاتها المختلفة على جهة الإجمال:

1. الأمر بعمارة الأرض من منطلق الاستخلاف فيها: عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[1]. ففي الحديث تقرير لحقيقة مهمة، لها مدخل كبير في موضوع التنمية المستدامة، وهي قضية الاستخلاف في الأرض، الذي يقتضي عمارتها والحفاظ على ثرواتها، وتنمية خيراتها، فإن ذلك مقتضى الاستخلاف، الذي هو "مسئولية عظيمة، تتمثل في تمكين الإنسان من أمانة الأرض وناصية الكون، وتسخيره له، ليكون سيدًا عليه، مالكًا لمفاتيحه، متصرفًا في شؤونه، مستغلًا لخيراته، منفذًا فيه إرادته بالتعمير والتغيير والترقية والتطوير"[2] فعلى البشر جميعا "أن يتعاقبوا على عمارة الأرض جيلا بعد جيل، بحيث لا ينقرض منهم جيل حتى يكون جيل آخر قد خلفه في عمارتها، إلى أن يحين أجل الفناء، لكل من عليها من الأحياء[3] يقول علاَّل الفاسي (رحمه الله): "والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع"[4].

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1955م، كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (4/2098) حديث رقم (2742).
2. محمد زرمان، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم: دلالاتها وأبعادها الحضارية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد: 16، عام: 1998م. (ص195).
3. محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1985م، (2/190).
4. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993م، (ص46-45).

2. **النهي عن الإفساد في الأرض:** عن عبد الله بن حُبَشي (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"[1]. فهذا الحديث فيه وعيد شديد لمن يعيث فسادا في أحد مكونات البيئة، ويسعى إلى انقطاع أثرها، وفيه إشارة إلى أن من أهم مسؤوليات الإنسان في هذه الأرض -إضافة إلى الإصلاح والتنمية- ترك تخريب مقدراتها والإفساد فيها، من منطلق كونه مستخلفا فيها، وتلك "مسئولية عظيمة، تتمثل في تمكين الإنسان من أمانة الأرض وناصية الكون، وتسخيره له، ليكون سيدًا عليه، مالكًا لمفاتيحه، متصرفًا في شؤونه، مستغلًا لخيراته، منفذًا فيه إرادته بالتعمير والتغيير والترقية والتطوير"[2].

3. **تحريم الإسراف والتبذير:** عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن الرسول ﷺ مر بسعد -وهو يتوضأ- فقال: "مَا هَذَا السَّرْفُ"، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: "نَعَمْ! وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ"[3]. ففي الحديث نهي واضح وصريح على الإسراف في الماء ولو في العبادة، وفيه إشارة إلى ترك الإسراف في كل مورد بيئي؛ حفاظا على مكونات الأرض ومواردها، وخاصة الأساس منها، لما في الإسراف فيها من ضياع حق الأجيال فيها.

---

1. أخرجه أبو داود في سننه، المحقق شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بلل، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م، كتاب الأدب، باب في قطع السدر (7/523) حديث رقم (5239) و قال محققه حسن.
2. ينظر: عبد الله بن جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، (ص211-210).
3. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ, 2009م، أبواب الطهارة وسننها، باب من جاء في القصد في الوضوء، وكراهية التعدي فيه (1/272) حديث رقم (425) وضعفه محققه.

المبحث الأول: مكونات التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية

البيئة هي "المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان؛ (الأرض وما يحيط بها من غلاف جوي يؤثر في نمط الحياة فيها)، بما يتضمن من ظواهر طبيعية وبشرية، يتأثر بها ويؤثر فيها، ويستمد منها مقومات حياته، ويمارس فيها علاقته مع من سواه"[1].

ولقد تناولت الأحاديث النبوية سواء القولي منها أو العملي موضوع البيئة واستدامة مكوناتها من ماء وهواء وحيوان ونبات. في مواضع كثيرة وسياقات مختلفة.

وهذا ما سأتطرق إليه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التنمية المستدامة للماء والهواء

الماء من النعم العظيمة، فقد جعله الله تعالى سببا للحياة، وزادا للأحياء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30]. وقد يسر الله سبل الحصول عليه، فخلق البحار والأنهار، وألهم الإنسان صناعة الآبار، ووجه نبينا الكريم ﷺ إلى المحافظة على الثروة المائية والهوائية، وجعل ذلك من الصدقات الجارية، قال النبي ﷺ: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... نَهْرًا أَجْرَاهُ"[2]. ومعلوم ما بين الماء والهواء من الصلة، فالحفاظ على الماء حفاظ على الهواء، والإضرار بالماء إضرار بالهواء.

وهذه بعض التوجيهات النبوية، للحفاظ على الثروة المائية والهوائية، التي تتلخص في ثلاثة أمور: الحرص على استجلاب الماء عند فقده، وعدم تلويثه والإضرار بخصائصه الطبيعية التي خلقها الله تعالى فيه، وترك الإسراف في استعماله بما قد يؤدي إلى استنفاذ ثرواته، وحرمان الأجيال الحالية واللاحقة منه.

أولا: الأمر باستجلاب الماء والنهي عن إتلافه؛ فقد شرع النبي ﷺ للمسلمين حين

---

1. ينظر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) العالم الإسلامي والتنمية المستدامة؛ الخصوصيات والتحديات والالتزامات: - وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزارة البيئة، دراسة: العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، جدة، السعودية 2002م، نشر: منظمة إيسيسكو، الرباط، المغرب: 2002م، (ص98)، والسيد الجميلي: الإسلام والبيئة، مركز الكتاب للنشر، الإسكندرية، 1997م، (ص14).
2. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير (1/163) حديث رقم (242)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، (دار المكتب الإسلامي) حديث رقم (2231).

الجفاف وعدم نزول المطر إقامة صلاة الاستسقاء، والتضرع إلى الله بالرحمة للبلاد والعباد والبهائم، وأن يكون سقيا رحمة لا سقيا عذاب، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَحَطَ المَطَرُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَدَعَا فَمُطِرْنَا، فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَنَازِلِنَا فَمَا زِلْنَا نُمْطَرُ إِلَى الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، قَالَ: فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا" قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالًا، يُمْطَرُونَ وَلَا يُمْطَرُ أَهْلُ المَدِينَةِ[1]. وحث ﷺ على توفير الماء للناس والحيوان فقال: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ -وذكر منها-: أَوْ نَهْرًا كَرَاهُ"[2]. "يعني: حفره"[3]. ونهى عن تخريب مصادر المياه فقال ﷺ: "وَلَا تُغَوِّرَنَّ عَيْنًا"[4].

ثانيا: الاعتدال في استعماله، وعدم الإسراف في استهلاكه؛ فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن الرسول ﷺ مر بسعد -وهو يتوضأ- فقال: "مَا هَذَا السَّرْفُ"، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: "نَعَمْ! وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ"[5]، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقتصد في استعمال الماء في الوضوء، فيَتَوَضَّأُ بِمُدٍّ مِنْ مَاءٍ، وَيَغْتَسِلُ بِصَاعٍ[6]. فإذا كان هذا شأنه وأمره في الوضوء وهو من شروط الصلاة التي هي الركن الأول من أركان الإسلام، فما بالك بالاستعمالات الأخرى المفرطة وغير الرشيدة للماء، سواء في الزراعة والصناعة والأغراض المنزلية وغيرها من أعمال الدنيا.

---

1. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2002م، أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر (2/29) حديث رقم (1015)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (2/614) حديث رقم (897).
2. أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، المحقق/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م، كتاب الزكاة، باب فضائل بناء السوق لأبناء السابلة، وحفر الأنهار للشارب (4/121) حديث رقم (2490) وقال الأعظمي: "إسناده حسن لغيره لشواهده".
3. المنذري، حسن بن علي، القريب المجيب على الترغيب والترهيب، المحقق/ محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، ط1، 2018م، (1/688).
4. أخرجه البيهقي في السنن الكبير، المحقق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 2011م، كتاب المرتد، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما (18/301) حديث رقم (18206).
5. سبق تخريجه، ص 234.
6. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، المحقق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، 1989م، كتاب الطهارة، في الجنب كم يكفيه لغسله من الماء (1/67) حديث رقم (713).

ويتعدى النهي عن الإسراف والتبذير في الماء العذب إلى ما في البحر وما يحتويه، كالأسماك والإسفنج والمرجانيات وسائر الثروات المائية الحية وغير الحية؛ لأن الجور في استهلاك أي من تلك الموارد يؤدي إلى خطر انقراض بعض الثروات المائية وظهور ما يسمى بظاهرة التصحر البحري، أي تجريد الماء من الأحياء المائية وموارده غير الحية، مما يهدد الاتزان البيئي للغلاف المائي بين أحيائه وسيادة بعض الأنواع غير المرغوب فيها، مما يحدث أزمة في التنوع الحيوي واختلالاً في التوازن البيئي[1].

ثالثا: الحفاظ على نظافته، والحرص على عدم تلويثه؛ قَالَ النبي ﷺ: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ"[2]، فقد نهى ﷺ عن قضاء الحاجة في الماء العام الذي يستخدمه الناس في شربهم وطهارتهم، حفاظا على الموارد المائية للمجتمع، فإن هذا التصرف يسبب تلوث المياه، ويؤدي إلى عفونتها، ويفوت الانتفاع بها، فضلًا عن انتقال الجراثيم من خلالها[3]. وعن جابر (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ: "نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ"[4]. وقال ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظِّلِّ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ"[5]. ومعنى الموارد: "طرق الماء. وأحدها موردة، والظل هنا يراد به مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه"[6] "وسميت هذه ملاعن لأنها تجلب اللعن على فاعلها؛ لأنه ضرر عظيم بالمسلمين؛ إذ يعرضهم للتنجيس، ويمنعهم من حقوقهم في

---

1. أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة مقارنًا بالقوانين الوضعية، القاهرة، 1996م، (ص-176 181).
2. متفق عليه، أخرجه البخاري، في كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/57) حديث رقم (239)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الدائم (1/235) حديث رقم (282).
3. ينظر: صالح درويش الكاشف، دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، طرابلس، لبنان، 2017-12-27-26م، ضمن سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات، مركز جبل البحث العلمي، (ص48).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (1/235) حديث رقم (281).
5. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نُهي عن البول فيها (1/3) حديث رقم (26)، وابن ماجه في سننه، أبواب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (1/218) حديث رقم (328) وقال محققو سنن ابن ماجه: «المرفوع منه حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي سعيد الحميري، ثم هو لم يسمع من معاذ. وأخرج المرفوع فقط أبو داود من طريق نافع بن يزيد، بهذا الإسناد. ويشهد له حديث أبي هريرة عند مسلم.
6. حمد بن محمد الخطابي، معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1932م، (1/21-22).

الماء والاستظلال وغير ذلك"[1]. كما أن لها أثرا واضحا في تلويث الهواء والتأثير في نقائه وصلاحيته للاستنشاق.

وحفاظا على نظافة الماء، وخشية من تلويثه، وتلافيًا لما قد ينتقل إليه من ميكروبات، أو مسببات الأمراض التي تغير خواصه وتجعله غير صالح لما خُلق له، وربما أصدر موادَّ تؤثر على نقاء الهواء؛ نهى النبي ﷺ عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه فقال ﷺ: "إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيُنَحِّ الْإِنَاءَ، ثُمَّ لِيَعُدْ إِنْ كَانَ يُرِيدُ"[2]، وقال ﷺ: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ"[3]، قال النووي (رحمه الله): "ذكر العلماء للأمر بالتغطية فوائد، منها الفائدتان اللتان وردتا في هذه الأحاديث، وهما: صيانته من الشيطان، فإن الشيطان لا يكشف غطاء، ولا يحل سقاء، وصيانته من الوباء الذي ينزل في ليلة من السنة. والفائدة الثالثة: صيانته من النجاسة والمقذرات، والرابعة صيانته من الحشرات والهوام، فربما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل، أو في الليل فيتضرر به. والله أعلم"[4].

وإذا كانت هذه الأحاديث الشريفة تنهى عن تلويث الماء أو إفساده بالهواء ونحوه؛ فما بالك بالمواد الضارة الأخرى، الناتجة عن العمليات والأنشطة الصناعية والتجارية والزراعية وغيرها، والتي تعد اليوم أكثر ضررًا وأشد خطرًا على الماء والهواء، بل وعلى حياة مختلف مخلوقات الله الحية وغير الحية[5].

إن هذه النصوص السابقة وإن كانت تدل بالأصالة على الحفاظ على المورد المائي، فإنها بالطبع تشمل الحفاظ على نظافة الهواء؛ لأن كل ما يصيب الماء هو بالضرورة مؤثر

---

1. أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المحقق/ محيي الدين ديب ميستو وآخرين، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1996م، (1/524).
2. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الأشربة، باب التنفس في الإناء (4/492) حديث رقم (3427). وقال محققو سنن ابن ماجه: "إسناده حسن، وصححه البوصيري".
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب (3/1594) حديث رقم (2012).
4. يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1972م، (13/183).
5. محمد محمود السرياني، المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2007م، (ص142).

في نقاء الهواء. وهناك نصوص أخرى دلالتها أصرح على الحفاظ على نظافة الهواء، ومنها:

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: "اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ". قالوا: وما اللَّعَّانان يا رسول الله؟ قال: "الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"[1]. فإن ذلك مما يفرز ميكروبات وفيروسات لها أبلغ الأثر في جودة الهواء ونقائه.

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ... وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"[2] فإن من غايات هذه الإماطة الحفاظ على الهواء نقيا صالحا للاستنشاق من غير ضرر.

يضاف إلى ذلك كل الأحاديث التي تحث على زراعة الأشجار كما سيأتي في التنمية المستدامة للنبات، ففي ذلك إضافة إلى الحفاظ عليها وطلب دوامها، تخليص البيئة من كميات كبيرة من ثاني أكسد الكربون الضار بالصحة، كما أنها تنتج كمياتٍ كبيرةً من الأكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان، كما يمكن استعمالها مصدرا للرياح (الطاقة الريحية البديلة) وحماية الإنسان والحيوان من التيارات الهوائية وغيرها[3].

المطلب الثاني: التنمية المستدامة للحيوان

الثروة الحيوانية من النعم التي سخرها الله تعالى للإنسان، فمنها مأكله ومشربه وملبسه ومركبه، قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝﴾ [النحل: 5-6] ولأهمية الثروة الحيوانية أمرنا رسول الله ﷺ بأن نتقي الله تعالى فيها فقال: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ"[4]. والناظر في السنة النبوية يجد النصوص النبوية الداعية للحفاظ على هذه الثروة، والحرص على

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال (1/226) حديث رقم (269).
2. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه (4/56) حديث رقم (2989)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (2/699) حديث رقم (1009).
3. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، الدار العربية، بيروت، 2001م، (ص174).
4. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (4/200) حديث رقم (2548)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب استحباب الإحسان إلى الدواب المركوبة في العلف والسقي، وكراهية إجاعتها وإعطاشها وركوبها والسير عليها جياعا عطاشا (4/143) حديث رقم (2545).

استدامتها وبقائها، والمحذرة من الإضرار بها، متوافرة، وذلك من خلال التوجيهات الآتية:

أولا: تنميتها ورعايتها، والإحسان إليها بإطعامها وسقيها، وعدم إهمالها؛ قال النبي ﷺ لأم هانئ: "اِتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً"[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا، فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا"[2] "يعني: فأسرعوا السير على الدواب في الأرض الجدبة إن كانت الدواب ذات شحم ومخ، والنقي: الشحم والمخ، ومعنى هذا: لكي تخرجوا من الجدوبة إلى أرض ذات ماء ومرعى، فإن كانت الدواب ضعافا فارتفقوا ولا تعنفوا عليها"[3] "وهذا عموم يدخل فيه الرفق بالدواب في الأسفار وغيرها. وخص المسافر في هذا الحديث بالذكر فأمر أن يمشي مهلا رويدا، ويكثر النزول إذا كانت الأرض مخصبة لترعى دابته الكلأ وتنال من الحشيش والماء، وهذا إنما هو في الأسفار البعيدة ما لم تضم الضرورة إلا أن يجد في السفر فإذا كانت جدبة وكان عام السنة، فالسنة للمسافر أن يسرع في السفر ويسعى في الخروج عن بلاد الجدب وبدابته رمق يقيه من النقي، والنقي الشحم والقوة حتى يحصل في بلد الخصب"[4] وقال ﷺ: "ارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً"[5].

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب التجارات، باب اتخاذ الماشية، (3/402) حديث رقم (2304). وصححه محققو سنن ابن ماجه.
2. أخرجه مالك في الموطأ، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1975م، كتاب الاستئذان، باب ما يؤمر به من العمل في السفر (2/979) حديث رقم (38).
3. عبد الرحمن بن مروان القنازعي، تفسير الموطأ، المحقق/ عامر حسن صبري، دار النوادر، ط1، 2008م، (2/777).
4. يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، الاستذكار، المحقق/ سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، (8/534-535).
5. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (4/200)، حديث رقم (2548)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب استحباب الإحسان إلى الدواب المركوبة في العلف والسقي، وكراهية إجاعتها وإعطاشها وركوبها والسير عليها جياعا عطاشا (4/143) حديث رقم (2545).

ثانيا: عدم تعريضها للهلاك أو الضرر لغير منفعة أو مأكلة؛ قال النبي ﷺ: "لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا"[1]. ونهى ﷺ عن "الوقوف على الدواب لا لمعنى يوجبه، بأن يستوطنه الإنسان ويتخذه مقعدا فيتعب الدابة ويضر بها من غير طائل[2] فقال: "إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ"[3]. وجاء في وصية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ليزيد بن أبي سفيان: "... ولا تعقرن شاة، ولا بعيرا، إلا لمأكلة، ولا تحرقن نحلا، ولا تغرقنه"[4].

ثالثا: عدم تعذيبها أو إيذائها أو التمثيل بها؛ فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: مَرَّ حِمَارٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ كُوِيَ فِي وَجْهِهِ، تَفُورُ مَنْخِرَاهُ مِنْ دَمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا" ثُمَّ نَهَى عَنِ الْكَيِّ فِي الْوَجْهِ، وَالضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ[5]، وقال ﷺ: "عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيْهَا النَّارَ لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ"[6]. وعن عبدِ الرحمن بن عبد الله عن أبيه، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فانطَلق لحاجتِه، فرأينا حُمَّرةً معها فَرْخَانِ، فأخذْنا فرخَيها، فجاءتِ الحُمَّرة فجعلتْ تفرُشُ، فجاء النبي ﷺ فقال: "من فَجَعَ هذهِ بولَدها؟ رُدُّوا ولدَها إليها". ورأى قريةَ نملٍ قد حَرَقْناها، فقال: "من حَرَق هذه؟" قلنا: نحنُ، قال: "إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رَبُّ النار"[7]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم (3/1549) حديث رقم (1958).
2. الخطابي، معالم السنن (2/253).
3. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب في الوقوف على الدابة (4/214) حديث رقم (2567). وحسنه محققو سنن أبي داود.
4. موطأ مالك بن أنس، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو (2/447) حديث رقم (10).
5. محمد بن حبان البُستي، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب المثلة، ذكر الزجر عن وسم شيء من ذوات الأربع على وجهه (12/443) حديث رقم (5626).
6. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم (4/130) حديث رقم (2218)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي (4/2022) حديث رقم (2242).
7. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار (4/309) حديث رقم (2675). وصححه محققو سنن أبي داود.

يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَغُلَامٌ مِنْ بَنِي يَحْيَى رَابِطٌ دَجَاجَةً يَرْمِيهَا، فَمَشَى إِلَيْهَا ابْنُ عُمَرَ حَتَّى حَلَّهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا وَبِالْغُلَامِ مَعَهُ فَقَالَ: ارْجُرُوا غُلَامَكُمْ عَنْ أَنْ يَصْبِرَ هَذَا الطَّيْرَ لِلْقَتْلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ تُصْبَرَ بَهِيمَةٌ أَوْ غَيْرُهَا لِلْقَتْلِ[1]. "أَي أَن تحبس للرمي، وَكَانُوا يحبسونها ويرمونها بِالنَّبلِ"[2] "وأصل الصبر الحبس، ومنه قيل: قتل فلان صبرا، أي قهرا أو حبسًا على الموت. وإنما نهي عن ذلك لما فيه من تعذيب البهيمة"[3] وتشديدا في الوعيد لمن يؤذي الحيوانات "لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَثَّلَ بِالحَيَوَانِ"[4].

رابعا: إنقاذها إذا كان في محنة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"[5].

فهذه التوجيهات وغيرها تؤكد على أن السنة النبوية قد كفلت حماية حياة الحيوانات والطيور، حتى تستمر ويستديم عطاؤها وأداؤها لوظائفها التي خلقها الله لها[6]

المطلب الثالث: التنمية المستدامة للنبات

النباتُ طعام للإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: 33] ومنه يكون الظل الظليل، والمنظر الجميل، وقد رغب النبي ﷺ بالمحافظة عليه، حتى

---

1. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (7/94) حديث رقم (5514)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم (3/1549) حديث رقم (1958).
2. عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، كشف المشكل من حديث رقم الصحيحين، المحقق/ علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، د. ط. ت، (3/198).
3. الخطابي، معالم السنن (4/277).
4. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (7/94) حديث رقم (5515)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم (3/1549) حديث رقم (1958).
5. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء (3/112) حديث رقم (2363). ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4/1761) حديث رقم (2244).
6. محمد محمود السرياني، المنظور الإسلامي لقضايا البيئة (ص186-185).

ولو كان المرءُ على مشارفِ الموت، فقَالَ ﷺ: "إنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا"[1]. وذلك لما للثروة النباتية من دور في تحقيق التوازن البيئي لنظام الكون. وهذه بعض التوجيهات النبوية للحفاظ على هذه الثروة:

أولا: الحث على توسيع الرقعة الخضراء، واستصلاح الأراضي؛ قال النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ"[3] وهذا التوجيه النبوي الشريف يعالج كثيرا من الظواهر البيئية؛ مثل تصحر الأرض وانجرافها، وغيرها من المشكلات. وعن ظهير بن رافع (رضي الله عنه)، قال: "سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِمَحَاقِلِكُمْ؟" فقلت: نؤاجرها يا رسول الله على الربيع أو الأوسق من التمر أو الشعير. قال: "فَلَا تَفْعَلُوا، ازْرَعُوهَا أَوْ أَزْرِعُوهَا أَوْ أَمْسِكُوهَا"[4].

ثانيا: تحفيز الأفراد على إحياء الأراضي الجدباء؛ قال ﷺ: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ"[5]، وقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ" قال عروة: قضى به عمر (رضي اله عنه) في خلافته[6]، وذلك تحريكا للهمة وتقوية للنشاط في توسيع

---

1. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، المحقق/ سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 1998م، باب اصطناع المال (ص242) حديث رقم (479). وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص181).
2. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/103) حديث رقم (2320)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (3/1189) حديث رقم (1553).
3. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة (3/107) حديث رقم (2341)، ومسلم في كتاب البيوع، باب كراء الأرض (3/1178) حديث رقم (1544).
4. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب ما جاء في الحرث والمزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة (3/107) حديث رقم (2339)، ومسلم في كتاب البيوع، باب كراء الأرض بالطعام، (3/1182) حديث رقم (1548).
5. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في إحياء الموات (4/680) حديث رقم (3073)، والترمذي في سننه، أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر في إحياء أرض الموات (3/213) حديث رقم (1434)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وأحمد في مسنده، حديث رقم (14840)، وابن حبان في صحيحه، كتاب إحياء الموات، ذكر الخبر الدال على أن الذمي إذا أحيا أرضا ميتة لم تكن له (11/616) حديث رقم (5205).
6. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا (3/106) حديث رقم (2335).

واستمرارية دائرة الإحياء والعمران للأرض.

ثالثا: النهي عن قطع الأشجار دون ضرورة؛ يقول النبي ﷺ: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"[1]، وكان من وصاياه ﷺ: "وَلاَ تَعْقِرَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلاَ تَحْرِقَنَّ نَخْلاً"[2]. وقال علي (رضي الله عنه): "ولا تحرقوا زرعا ... ولا تقطعوا شجرة مثمرة"[3].

المبحث الثاني: مرتكزات التنمية المستدامة في السنة النبوية

إن المتأمل في النصوص الشرعية عامة، والأحاديث النبوية خاصة، المؤطرة لموضوع التنمية المستدامة، يلوح له منها مرتكزات قد انبنت عليها، تميزها عن التنمية المستدامة من المنظور الغربي. ومن أهم تلك المرتكزات:

المطلب الأول: المرتكز العقدي العبادي

إن البيئة في الشريعة الإسلامية لشاهدة على الوجود الإلهي، وهذا الوجود عنصر أساس من عناصر حقيقتها[4]، يراقبه المرء في كل عمل يعمله، وفي كل خطوة يخطوها، موقنا أنه "محكوم في سعادته وشقائه بقدر ما يتحقق من مهمة التعمير التي تثمر التنمية الفردية والجماعية"[5]

ومن مظاهر ربط هذ الكون بخالقه: ترتيب الجزاء على من أحسن فيه، وأسهم في تنميته، والحفاظ على موارده، ومن ذلك قول النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[6]. وقوله ﷺ: "وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"[7].

---

1. سبق تخريجه ص 233.
2. أخرجه سعيد بن منصور في سننه، المحقق/ حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، 1982م، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا (2/181) حديث رقم (2383) والحديث مرسل.
3. أبو بكر أحمد بن علي المروزي، مسند أبي بكر الصديق، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، دار المكتب الإسلامي، بيروت، (ص72) حديث رقم (21).
4. عبد المجيد عمر النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة، دار العلم، الكويت، ط 2، 1979م، (ص74).
5. أحمد حسين فرحات، الخلافة في الأرض، دار الأرقم، الكويت، 1986م، (ص14-12).
6. سبق تخريجه ص 233.
7. سبق تخريجه ص 229.

إن التنمية في الإسلام تقوم على إحالة سعي الإنسان في الدنيا إلى عبادة، وهذه العبادة تتضمن تحصيل العلم بطبائع المخلوقات وخصائصها، والمحافظة على الطبيعة والحُسن بها، وتزكيتها وإصلاح ما أفسد فيها، وذلك بالتعامل معها وفق منهج الله خالقها ومدبرها[1] الذي جعل حسن رعايتها "واجبا مقدسا على كل مستخلف فيها، وتشريعا إلهيا ألزم به عباده؛ يحاسبهم على تركه أو إهماله. وليس توصية مؤتمر تنتهي بانفضاض المؤتمرين، ولا صيحة دوّى بها عالم وسط جموع الحاضرين"[2]. وهذا ما أكده النبي ﷺ حين توعد بالويل من لم يتأمل في هذا الكون ليصل إلى خالقه جل جلاله، فعن عائشة (رضي الله عنها) قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ النبي ﷺ: "يَا عَائِشَةُ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي"، قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا يَسُرُّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى وَكَانَ جَالِسًا، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: 164]"[3] ففي هذه الآية وأمثالها، يربط المولى عز وجل الناس بخالقهم؛ من خلال تذكيرهم بهذه النعم وبالمنعم بها والمدبر لها "ويكاد ينطبق هذا الأمر على كل ما ذكر من مشاهد تدل على التنمية المستدامة وقيامها على توحيد الله في كل مخلوقاته وكونه"[4].

---

1. إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية: رؤية تربوية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الخرطوم، ط2، 1992م، (ص63-62). بتصرف.
2. آمنة نصير، الإسلام وحماية البيئة، قضايا إسلامية، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، عدد: 76، (ص90). بتصرف
3. أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب التوبة، ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنا عنها مجدا في إتيان ضدها (2/387) حديث رقم (620) وقال شعيب الأرنؤوط "إسناده صحيح على شرط مسلم".
4. عبد المجيد عمر النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي (ص87).

المطلب الثاني: المرتكز الأخلاقي

التنمية البيئية المستدامة في الشريعة الإسلامية عموما، وفي السنة النبوية على وجه الخصوص، نجد فيها لفتة إنسانية، وقيمة أخلاقية، فنجدها تؤسس لحسن التعامل مع الموارد من نبات وحيوان وماء وهواء وغيرها، ومن الأخلاق التي ورد الحث عليها في معاملة هذه الموارد:

- **خلق الرحمة:** جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فأرحمُها. فقَالَ النبي ﷺ: "وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ" مرتين[1]. يعني: إذا ذبحتها فاذبحها وأنت راحم لها، ولا تعذبها أثناء ذبحها، قال أحد العلماء: "رحمة الحيوان سبب لرحمة الله لعبده، فإنما يرحم الرحمن من عباده الرحماء"[2]. فإذا كان الإنسان مطالبا برحمة الحيوان حال ذبحه وإنهاء حياته، فإنه من باب أولى وأحرى مطالب بذلك حال حياة الحيوان، ليستدام نفعه وخيره.

- **خلق الرفق:** قَالَ النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا، فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا"[3].

- **خلق الإحسان:** كما في الحديث السابق: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا. قَالَ غَيْرُ مُسْلِمٍ يَقُولُ: فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"[4].

ولئن كان بعض المهتمين بالتنمية المستدامة قد تفطن إلى هذا الخلل، فحاولوا

---

1. أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (15592) والبخاري في الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض (ص136) حديث رقم (373). وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4 1997م، (ص149).
2. محمد بن إسماعيل الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 2001م، (11/31).
3. سبق تخريجه (ص 240).
4. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأضاحيّ، باب في الرفقِ بالذبيحةِ (4/437) حديث رقم (2815) وصححه محققو سنن أبي داود.

تداركه من خلال النص على "أن التنمية المستدامة هي قضية أخلاقية وإنسانية بقدر ما هي قضية تنموية وبيئية"[1]، إلا أن نظرتهم الأخلاقية تبقى -عند من يراعيها منهم- قاصرة ومقتصرة على التعامل مع الإنسان دون غيره من الموارد الأخرى، وهذا ما عبر عنه أحد الفلاسفة بقوله: "تطبيق المفاهيم الأخلاقية على العلاقة بالطبيعة يدعو للشك جدًّا، فقطع الغابات وقتل الحيوانات ليسا عملين لا أخلاقيين، إن مجال العلاقة الأخلاقية، أو اللا أخلاقية محصور بالإنسان والمجتمع فقط"[2].

وعلى كل فإن النموذج الغربي مهما حاول إحاطة مفهوم التنمية بسياج أخلاقي؛ فإن إصراره واستمراره على نفس النهج المعهود يُثبِت تمسّكه بهدف واحد هو تحقيق النمو لا غير.

إن غياب البعد الأخلاقي على حساب المصالح الثانية للأشخاص والمؤسسات والدول ينتج عنه الفساد الذي ظهر في ربوع الأرض، وانتشار المواد المسرطنة التي أضرت بالإنسان، وكذا النفايات النووية؛ لذلك يجب أن تنادي بأهمية وجود هذا الوازع الداخلي للوصول إلى حماية البيئة ورعايتها[3].

المطلب الثالث: المرتكز الشمولي

إن الشمول والتكامل والتوازن بين مختلف أبعاد التنمية سمات جلية في الإسلام، فشمولها يجعلها تتجاوز حدود تحقيق العبادة المادية، لتشمل تحقيق النمو الإنساني بجميع أبعاده، حتى تصل بالإنسان إلى مقام التكريم الذي منحه الله له. وتوازنها يجعلها حريصة على أن لا يطغى بُعد من أبعادها على بقية الأبعاد، ولا مصلحة جيل على آخر، ولا قطر على آخر، وتكاملها يجعلها لا تركز على جانب من الجوانب البيئية فقط، بل تشمل -أيضًا- الجوانب الأخرى، فالنبات مثلا يأكل منه الحيوان ليحيا، وبعض الحيوانات والحشرات تسهم

1. ينظر: اللجنة العالمية للبيئة والتنمية: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل عارف، مراجعة علي حسين حجاج، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989م، (ص142).
2. توقانيروف: الطبيعة، الحضارة، الإنسان، ترجمة: رضوان القضماني ونجم خريط، دار الغابلي، بيروت، 1987م، (ص44).
3. ينظر: صالح درويش الكاشف، دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، (ص50.

في اكتمال دورة النبات، والماء شراب للحيوان وسقاء لنبات... فلا غنى لمقَوِّم عن الآخر، في تكامل بديع. ومن تكامل التنمية المستدامة في الشريعة الإسلامية أنها تراعي ترابط الأبعاد واتساقها، فيتكامل الوحي مع العقل، والقوى الإيمانية مع القوى المادية، والإنسان مع بيئته ومجتمعه، وعالم الغيب مع عالم الشهادة، وذلك في إطار تفاعلي يتميز بالضبط والتنظيم والترشيد للموارد[1]. ويؤدي إلى تحقيق السعادة والنفع للجنس البشري في الدنيا والآخرة.

فقدرة الإنسان على المواءمة بين المقتضيات الحضارية والمصلحة العامة، وبين الهدي الإلهي -بالقدر الذي يسير فيه الركب ثابت الخطى- يحقق التمكين والاستخلاف في الأرض[2].

إن التنمية المستدامة في منظورها الإسلامي ترى الإنسان كائنا فاعلا يستطيع استثمار بيئته ومواردها على أساس مبدأ التسخير والعمارة (التنمية)؛ فهي توازن بين الناحيتين المادية والروحية، وهذه من أوجه التمايز بين نظرة العولمة الغربية والتنمية المستدامة الإسلامية[3]. كما أنها تراعي التوازن والتكامل بين جميع متطلبات التنمية، فمن غير المعقول أن تنفرد التنمية بالنواحي الاقتصادية دون القضايا الصحية أو الثقافية أو الاجتماعية، وأن تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة، أو أن يركز على المنشآت المتطورة دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الأساسية، أو أن تركز التنمية في المدن دون القرى[4]. وقد جاءت نصوص نبوية كثيرة تؤسس لمبدأ التوازن بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، كحديث النفر المشهور، وفيه أنه قال لهم: "أَمَّا أَنَا فَأَنَا أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[5].

---

1. ينظر: محروس أحمد غبان: التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية، دار الإيمان، المدينة المنورة، ط2، 2009م، (ص89)، وعثمان محمد غنيم، وماجدة أحمد أبو زنط التنمية المستدامة فلسفتها وأساليبها (ص39).
2. ينظر: فؤاد عبد اللطيف السرطاوي: البيئة والبعد الإسلامي، دار المسيرة، عمان، 2000م، (ص48).
3. ينظر: عدنان ياسين مصطفى: التنمية المستدامة بين إيديولوجيا الشمال ومأزق الجنوب: دراسات في التنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، بحوث الندوة الفكرية التي نظمها قسم الدراسات الاقتصادية في بيت الحكمة شباط فبراير 2000م، بيت الحكمة، بغداد، 2001م، (ص242).
4. ينظر: إبراهيم العسل: التنمية في الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م، (ص73).
5. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، «لأخشاكم». (7/2)2 حديث رقم (5063)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (2/1018) حديث رقم (1401).

وانطلاقا من هذه المرتكزات الثلاثة وغيرها وصفت «التنمية المستدامة من منظور الشرع بأنها: "نشاط ذو طبيعة شاملة متضمنة للناحية المادية والأخلاقية والاجتماعية، يقوم على قيم وأهداف المجتمع الإسلامي في كل هذه الأبعاد المختلفة فلا تقتصر الرفاهية المستهدفة من التنمية على الحياة الدنيا فقط بل تمتد للحياة الآخرة دون تعارض بين الحياتين"[1].

المبحث الثالث: تطبيقات التنمية البيئية المستدامة في العصر الحاضر

إن في التوجيهات النبوية لحلا لجميع التحديات البيئية، ولقد كان المسلمون منذ القديم، مستمسكين بها، حريصين على التزامها، فكانت لعلمائهم في ذلك فتاوى شرعية، ولحكامهم وأمرائهم أحكام سلطانية[2]، حفظوا بها البيئة وحافظوا عليها، ونموا مكوناتها.

وفي العصر الحديث ظهرت مشكلات جديدة، وتفاقمت أخرى، بسبب البعد عن كثير من تلك التوجيهات، فكان لزاما على العلماء والباحثين وأصحاب القرار الرجوع إلى معين تلك التوجيهات، والتقاط تلك الإشارات، ففيها ملاذ ومعتصم، وحل محتوم، للمشكلات البيئية المتفاقمة.

وفي هذا المبحث سأتوقف مع بعض تلك التوجيهات والإشارات، في المجالات البيئية الثلاث.

---

1. جمال عبدلي: دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1984م، (ص2).
2. كان الحكام يكلفون ذوي الاختصاص من العلماء بمراقبة الأسواق ونحوها من مواطن وجود مكونات البيئة، فيحتمون على الناس التزام التوجيهات الكفيلة بالحفاظ على تلك المكونات، من ذلك ما ذكره عبد الرحمن بن نصر الشيرزي من أن الخبازين كانوا يؤمرون برفع سقائف حوانيتهم، وفتح أبوابها، وجعل منافس واسعة في سقوف الأفران، يخرج منها الدخان، لئلا يتضرر بذلك الناس ينظر: عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، المحقق/ السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م، (ص22). ففي ذلك حفاظ على البيئة من كل ما يلوثها أو يسبب الأذى لمكوناتها. وذكر ضياء الدين ابن الأخوة في باب الحفاظ على الثروة الحيوانية أنهم كانوا يلزمون أرباب الدواب أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في استعمالها، وأن يريحوها في كل يوم، وليلة لحاجتها إلى الراحة، والسكون، وألا يستعمل الدابة في طحن أكثر مما تتحمل. ينظر: محمد بن محمد ابن الأخوة، معالم القربة في طلب الحسبة، دار الفنون، كمبردج، (ص89).

المطلب الأول: تطبيقات معاصرة لتنمية الماء والهواء

في هذا المطلب سأتوقف مع حديثين نبويين فيهما إشارات نبوية سابقة لعصرها ووقتها في مجال المحافظة على الثروة المائية، ونظافة الهواء، مستنبطا منها ما يمكن أن يكون له كبير الأثر في بيئتنا اليوم.

أولا: حديث أَبَي هُرَيْرَةَ قال (رضي الله عنه): جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ"[1].

ففي هذه الحديث إشارة بيئية مهمة، ودلالات تنموية عميقة، أقتصر منها على ما يأتي:

- فيه الإشارة إلى أهمية هذا المورد الطبعي في التخلص من كثير من المشكلات المتعلقة بندرة الماء، فإن ماء البحر متوافر بكثرة كافية لاستمرار الناس بالعيش عليه أبد الدهر، ووجه الإشارة النبوية أنه لم يجبه عن سؤاله بنعم، ليدله على ما يسأل عنه من الحكم، بل لقد أجابه بجواب يفهم منه أكثر من ذلك بكثير. قال ابن دقيق العيد (رحمه الله): "لو قال: نعم، لم يُستفَد منه -من حيث اللفظُ- إلا جوازُ الوضوءِ به، الذي وقع عنه السؤال، وإذا قال: هو الطهور أفاد جوازَ دفعِ الأحداث أصغرِها وأكبرِها، وإزالةِ الأنجاس به لفظًا، فكان أعمَّ فائدةً"[2] وقال محمد بن علي الأثيوبي: "ولم يقل في الجواب: نعم، مع حصول الغرض به، ليقرن الحكم بعلته، وهو الطهورية المتناهية في بابها، ودفعا لتوهم حمل لفظ نعم على الجواز على سبيل الرخصة للضرورة، ولما يفهم من الجواب بنعم من أنه إنما يتوضأ به فقط؛ لأنه المسؤول عنه، وفي إجابته بقوله الطهور ماؤه بيان أن الطهورية وصف لازم له غير قاصر على حالة الضرورة، وغير خاص بحدث دون حدث، بل يرفع كل حدث، ويزيل كل خبث"[3] وما تحلية المياه اليوم إلا استفادة من هذا العموم، ومظهر من

1. أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب الطهور للوضوء (1/22) حديث رقم (12).
2. تقي الدين ابن دقيق العيد، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، المحقق/ محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط2، 2009م، (1/111).
3. محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، دار المعراج الدولية للنشر، ودار آل بروم للنشر والتوزيع ط1، 1996، 2004م، (2/75).

مظاهر استثمار ماء البحر لتعويض ندرة المياه، الناتجة عن الإسراف في استعماله، وعدم التزام التوجيهات النبوية في استهلاكه. ومما يمكن الإفادة منه في هذا الباب توصيل أماكن الوضوء في المساجد بهذا المورد المائي المتجدد حتى ولو لم تكن محلاة ولا معالجة، اقتصادا في الماء من جهة، وفي الطاقة من جهة أخرى، مما يسهم في استغلال الموارد الطبيعية المتاحة بشكل مستدام.

- وفيه إشارة إلى حسن تدبير استعمال الماء، وعدم تبذيره، فإنه لا يتوضأ بالماء القليل المعد للشرب، وإنما يستعمل ما لا يصلح للشرب اقتصادا وحفاظا وترشيدا. وهذا هو الاستثمار العقلاني للماء الذي حضت عليه نصوص كثيرة، وكان نبينا ﷺ يمارسه عمليا حيث "كَانَ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"[1]. والمد الذي هو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما، ويعادل في المقاييس المعاصرة كما ذهب إليه جمهور الفقهاء 544 غراما، وحجمه 0.688 لترا[2] والناظر اليوم إلى المسلمين المتوضئين يجد حالهم على النقيض من هذا الهدي؛ فقد أثبتت دراسة في عام 2007م أن إجمالي كمية المياه التي يستهلكها الفرد في الوضوء هو 26.85 بمتوسط 5.37 من اللترات للفرض الواحد[3]. وهو رقم مخيف ومنذر ومعبر. فعلى المسلمين أن يرشدوا استعمال مياه عبادتهم أولا ثم الحفاظ على المياه عموما عبر ما يتيسر ويتاح من تقنيات حديثة، مثل الري بالتنقيط واستخدام التقنيات الحديثة والأنظمة الذكية لتحسين استغلال المياه، وترشيد استهلاكها في المنازل والمزارع وغيرها.

ثانيا: حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه)، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ"[4].

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمدة (1/84)، حديث رقم (198).
2. ينظر:حلاق محمد صبحي، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، دار الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ط1، 2007م، (ص113).
3. الخطاف زمان، المسلمون يستهلكون يوميا أكثر من 32 لترا يوميا في الوضوء، صحيفة الشرق الأوسط العدد 10341.
4. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى عن البول فيها (1/21) حديث رقم (27).

وفيه أيضا إشارة بيئية ودلالات تنموية أهمها ما يأتي:

- فيه إشارة إلى عدم جواز تلويث الأماكن العامة بما يفسد الهواء، ويلوث الجو، ويؤذي الناس والحيوان والنبات. وهي مشكلة معاصرة تعاني منها جل دول العالم، وتقام لها المؤتمرات والندوات. ولو استحضر الضمير الإنساني هذا التوجيه النبوي لما لوث الجو اليوم بالمواد الكيماوية، والمخلفات الإشعاعية والصناعية، والمبيدات الكيميائية، التي صارت مؤثرة في الغلاف الجوي ومؤثرة في الاحتباس الحراري. فإن تلويث الجو بها في النهي أولى من تلويثه بالقاذورات العضوية.

- وفيه إشارة إلى ضرورة إبعاد النفايات عن الأماكن المأهولة بالسكان، "فإذا تعذر ذلك فتنقل إلى المناطق ذات الكثافة السكانية الأقل، أو إلى القرى البعيدة، دفعًا للضرر المترتب عليها قدر الإمكان"[1]. وهذا ما صار يدعو إليه اليوم عقلاء العالم ويحضون عليه، كما يحضون على نقل كل ما يفرز ملوثا من ملوثات البيئة، كالمصانع ونحوها، إلى أماكن بعيدة تقلل من التضرر بها، والتأثر بانبعاثاتها.

المطلب الثاني: تطبيقات معاصرة لتنمية الحيوان

سأتوقف في هذا المطلب مع حديثين نبويين فيهما إشارات نبوية في مجال المحافظة على الثروة الحيوانية، مستنبطا منها ما يمكن أن يكون له كبير الأثر في بيئتنا اليوم.

أولا: حديث عبد الله بن مغفل (رضي الله عنه) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا"[2].

ففي هذه الحديث "أنه ﷺ كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق، لأنه ما من خلق لله تعالى إلاّ وفيه نوع من الحكمة، وضرب من المصلحة"[3] وتلك إشارة بيئية مهمة، ودلالة تنموية عميقة، وهي الحفاظ على التنوع البيولوجي، فهو -وإن كان خاصا بالكلاب

1. عدنان الصمادي، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة 17، العدد 51، (ص331).
2. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصيد، باب في اتخاذ كلب للصيد وغيره (3/383) حديث رقم (2838).
3. الخطابي، معالم السنن (4/289).

في لفظه- يعم كل نوع من أنواع الكائنات الحية، فينهى عن إبادتها، لتؤدي دورها البيئي المنوط بها، حفاظًا على التوازن البيئي. إن الحفاظ على كل صنف من أصناف الحيوانات، بحسن رعايتها، وعدم أذيتها، وبإشباعها إذا جاعت، وإروائها إذا عطشت، ومداواتها إذا مرضت، هو إسهام يحث عليه الإسلام ويأمر به، ويذم فاعل عكسه. لذا نجده أخبر بدخول النار امرأة في هرة لم تطعمها، كما سبق، ومغفرة ذنب آخر في كلب سقاه كما في الحديث المشهور المتفق عليه[1]، وكان الفقهاء وأهل الحسبة يحرصون على مداواة الحيوانات من بيطري مختص، ومن نصوصهم في ذلك: «البيطرة علم جليل سطرته الفلاسفة في كتبهم ووضعوا فيها تصانيف، وهي أصعب علاجا من أمراض الآدميين؛ لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجد من المرض والألم، وإنما يستدل على عللها بالحس والنظر فيحتاج البيطار إلى حسن بصيرة بعلل الدواب، وعلاجها فلا يتعاطى البيطرة إلا من له معرفة وخبرة بالتهجم على الدواب بفصد أو قطع أو كي وما أشبهه"[2].

وما انقراض كثير من الحيوانات وتأثيراته في البيئة إلا بسبب سلوكيات بشرية أدت إليه وساعدت عليه، ففي تقرير للدكتورة إميلي جرينفيلد[3] تبين بعض أسباب انقراض الحيوانات فتقول: "السبب وراء هذا الانقراض الجماعي لا يمكن أن يكون أكثر وضوحا، إنه نحن البشر. لقد تسببنا في ارتفاع درجة حرارة كوكبنا بمعدل غير مسبوق عبر التاريخ. لقد تسببنا في فقدان الموائل والتنوع البيولوجي وتدمير الحياة البرية. سوف يؤدي أسلوب حياتنا إلى القضاء على معظم الأنواع على الأرض خلال القرن القادم. كل هذه الأسباب تدفعنا إلى فهم أهمية التنوع البيولوجي واتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ عليه"[4]

---

1. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء (13/111) حديث رقم (2363)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4/1761) حديث رقم (2244).
2. معالم القربة في طلب الحسبة، للشيرزي (ص150).
3. الدكتورة إميلي جرينفيلد هي خبيرة بيئية بارعة تتمتع بخبرة تزيد عن 30 عامًا في كتابة ومراجعة ونشر المحتوى حول مواضيع بيئية مختلفة. تنحدر من الولايات المتحدة، وكرست حياتها المهنية لرفع مستوى الوعي حول القضايا البيئية وتعزيز الممارسات المستدامة. ينظر: أهمية التنوع البيولوجي في التكيف وبقاء الكائنات الحية، إميلي جرينفيلد، منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابط https://2u.pw/FNDqrybs
4. أهمية التنوع البيولوجي في التكيف وبقاء الكائنات الحية، إميلي جرينفيلد، منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابط https://2u.pw/FNDqrybs

إن التنوع البيولوجي، الذي يشير الحديث إلى ضرورة الحفاظ عليه - هذا الحديث وأحاديث أخرى فيها الأمر بعدم قتل كثير من الحيوانات -[1]، له أثر بيئي مهم جدا؛ إذ "التنوع بين النظم البيئية يوفر لنا مناخًا مستقرًا، وهواءً صالحًا للتنفس، وماءً صالحًا للشرب. إن التنوع بين النباتات والحيوانات يوفر لنا الدواء. من المستحيل تصنيع معظم المركبات الطبيعية التي نستخدمها في الطب في المختبر. وبصرف النظر عن الزراعة والطب، فإننا نحن البشر نحصل أيضًا على الغذاء من مصادر برية مثل الأسماك. يؤدي الإفراط في صيد نوع معين من الأسماك إلى تقييد النظم البيئية البحرية بأكملها. يصبح أحد الأنواع مفرطًا في الحصاد لدرجة أنه يصبح لاعبًا ثانويًا من الناحية البيئية. إنه لا يمكننا حصر أهمية التنوع البيولوجي وفوائده لمجتمعنا. لكننا نعرف حقيقة أنها واسعة حقًا. منذ عصور ما قبل التاريخ، لم يعش البشر قط في عالم ذي تنوع بيولوجي منخفض، ولا ينبغي لنا أن نعيش فيه في أي وقت قريب. تعتمد صحتنا الجسدية والروحية والنفسية على بيئة متنوعة وغنية"[2]

ثانيا: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ عن المدينة: "مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ"[3]. وحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: "إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا"[4] ففي هذين الحديثين إشارة على ما يسمى اليوم بنظام المحميات الطبيعية للحفاظ على الثروات البيئية. وقد التقط أبو هريرة (رضي الله عنه) الإشارة فقال: "لو رأيت

1. كقول النبي ﷺ: "مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا سَأَلَ اللهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، من قتل عصفورا بغير حقها، المحقق/ حسن عبد المنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، تحت إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م، (4/366) حديث رقم (4519)، وكذلك نهيه عن قتل الضفدع كما عند أبي داود في سننه، أبواب النوم، باب في قتل الضفدع (7/540) حديث رقم (5269)، وكذا الصرد والنملة والهدهد كما عند ابن ماجه في سننه، كتاب الصيد، باب ما ينهى عن قتله (2/1074) حديث رقم (3223).
2. أهمية التنوع البيولوجي في التكيف وبقاء الكائنات الحية، إميلي جرينفيلد، منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابطhttps://2u.pw/FNDqrybs
3. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب لابتي المدينة (3/21) حديث رقم (1873). ومسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها (2/999)، حديث رقم (1372)
4. أخرجه البخاري في كتاب الحجر، باب فضل الحرم (2/147) حديث رقم (1587).

الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها"[1].

"إن المحميات الطبيعية أو الحمى هي إحدى الممارسات الإسلامية في إدارة الموارد الطبيعية، والتي تسهم في عملية الاستدامة البيئية، والمحافظة على الثروة الحيوانية، وقد قدمت السنة النبوية نموذجا حيا لهذا الأمر لا يزال قائما إلى يومنا هذا وهو نموذج (مكة والمدينة)"[2].

لقد شرع الإسلام فكرة المحميات الطبيعية، وأحاطها بسور من التشريعات التي تمنع الاعتداء عليها، ليكون الحامي للبيئة من الاعتداء عليها الوازع الديني عند كل فرد، وهذا أمر متقدم بخطوات على ما أقامه المعاصرون من محميات تكتسب منعتها بقهر الجدار والحديد[3].

ولقد لجأت كثير من الدول اليوم إلى نظام المحميات، لدورها الكبير في حماية الكائنات الحية، وضمان تكاثرها، خاصة تلك الأنواع المهددة بالانقراض، حيث توفر لها بيئة آمنة وتخصص لها أحيانا برامج لتحسين السلالات وزيادة الإنتاجية، من خلال أساليب التربية الانتقائية والهندسة الوراثية.

المطلب الثالث: تطبيقات معاصرة لتنمية النبات

سأتوقف في هذا المطلب مع حديثين نبويين فيهما إشارات نبوية في مجال المحافظة على الثروة النباتية، مستنبطا منها ما يمكن أن يكون له كبير الأثر في بيئتنا اليوم.

أولا: حديث أَنَسِ بْنِ مَالْكٍ (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَة، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا"[4]. فهذا الحديث أصل عظيم من أصول التنمية المستدامة، للنباتات خصوصا، ولجميع موارد

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب لابتي المدينة (3/21) حديث رقم (1873).
2. ينظر: بكر عبد الله الخرمان، آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة (ص213).
3. ينظر: أحمد هليل، دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة، مؤتمر البيئة في الإسلام، مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، 26-27 أيلول [شتنبر] 2010م، (ص262).
4. سبق تخريجه ص 232.

البيئة على وجه العموم؛ إذ إنه يحث على نفع الأجيال اللاحقة ولو لم ينتفع جيل الزارعين والمسهمين؛ "لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس غيرك ما شبعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك"[1]. "قال الهيثمي: ولعله أراد بقيام الساعة أمارتها، فإنه قد ورد: "إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ بِالدَّجَّالِ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِزْهَا، فَإِنَّ لِلنَّاسِ عَيْشًا بَعْدُ"[2] والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار؛ لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها. فكما غرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة"[3].

ونحن في هذه الأسطر نتوقف مع بعض فوائد الإكثار من زرع الفسائل والأشجار الذي غفل الناس عن أهميته زمنا ثم رجعوا إليه اليوم.

"إن الأشجار تخلص البيئة من كميات كبيرة من غاز ثاني أوكسيد الكربون المضر بالصحة، كما أن لها دورا كبيرا في تحسين جودة الهواء وإنتاج كمية كبيرة من الأكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان، كما تقوم الأشجار أيضًا في المناطق الصناعية والمدن التي تحيط بها الجبال أو الصحاري بتقليل كمية الأتربة والمواد الملوثة الموجودة في الهواء حيث تعمل مصفاة منقبة للهواء، ومن هنا تجد أن كثيرًا من المدن في عالمنا اليوم قد لجأت إلى إنشاء ما يسمى بالحزام الأخضر حول المدن. كما أن للأشجار دورا كبيرًا في تثبيت الرمال، ومنع زحفها، من ثم تؤدي إلى منع ظاهرة التصحر التي تهدد كثيرًا من الدول"[4].

إن برامج التشجير اليوم -التي يجب على الدول أن تعي بقدر أكبر أهميتها وتسعى على تبني سياسات فعالة بشأنها- تسهم في مكافحة التصحر والحفاظ على البيئة، خاصةً في المناطق القاحلة التي تحتاج إلى استصلاح يحولها أراضي زراعية منتجة باستخدام التقنيات الحديثة، مثل الري بالتنقيط واستخدام الأسمدة العضوية وغيرها.

---

1. التنوير شرح الجامع الصغير (4/241).
2. نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، كتاب البيوع، باب الكسب والتجارة ومحبتها والحث على طلب الرزق (4/63) حديث رقم (6236).
3. زين الدين المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1938م، (3/30).
4. ينظر: صالح درويش الكاشف، دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، (ص49). بتصرف يسير.

ثانيا: أحاديث النهي عن قطع الأشجار: كحديث: "وَلَا تَعْقِرَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تَحْرِقَنَّ نَخْلًا"[1]. السابق. فلئن كان الحديث الذي قبله في تحلية الأرض بالأشجار فإن هذا في النهي عن تخليتها منها، وهذا ما يصطلح عليه في التنمية المستدامة اليوم بالحفاظ على الغطاء النباتي، فقطع الأشجار والتعدي عليها دون سبب ولا منفعة ولا مصلحة مضر بالبيئة، ولهذا تبنت الحكومات اليوم سياسات الحفاظ على الغابات ومنع القطع الجائر للأشجار، بهدف حماية الغطاء النباتي الضروري لاستدامة التوازن البيئي.

إن عدم التزام هذا التوجيه النبوي يؤدي إلى ظاهرة التصحر وتغير المناخ؛ إذ الأشجار كما سبق تسهم بشكل مباشر في امتصاص ثاني أكسيد الكربون، وتوفير الأكسجين، وتحسين جودة الهواء، مما يعزز التنوع النباتي.

وهكذا فإن التوجيهات النبوية في مجال الحفاظ على البيئة وتطبيقاتها العملية تُمثل نموذجًا متكاملًا في التنمية البيئية المستدامة، يتيح للبشرية الاستفادة من الموارد الطبيعية دون المساس بقدرتها على التجدد والاستمرار. فالمفاهيم التي أشار إليها النبي ﷺ في مجالات الماء والهواء والحيوان والنبات تعكس توازنًا دقيقًا بين احتياجات الإنسان ومتطلبات البيئة التي لا غنى له عنها، خاصة في العصر الحديث، فمع التحديات البيئية الكبرى التي نواجهها اليوم من تلوث، واستنزاف للموارد الطبيعية، وتغيرات مناخية، بات من الضروري أن نعيد استحضار تلك التوجيهات النبوية، ونطبقها في سياساتنا البيئية وممارساتنا اليومية؛ لضمان استدامة البيئة للأجيال القادمة، ولتعزيز صحة كوكب الأرض وسلامته.

1. سبق تخريجه. (ص 244).

خاتمة: نتائج وتوصيات.

في ختام هذا البحث؛ أقدم بين يدي قارئه أهم ما توصل إليه من نتائج، وما يقترحه من توصيات.

أولا- نتائج البحث:

1. السنة النبوية سباقة إلى تأصيل موضوع التنمية البيئية المستدامة بما لو طبق اليوم لكان له أكبر النفع وأعظم الأثر.
2. التنمية البيئية المستدامة في الإسلام ترتكز على مرتكزات، من أبرزها: ربط الكون بخالقه، والتركيز على الجانب الأخلاقي، إضافة إلى الشمول والتوازن والتكامل.
3. جاءت التوجيهات النبوية بوسائل وقائية وعلاجية ناجعة، تعد نواة الحلول المعاصرة للمشكلات البيئية، وهي حلول متى ما نزلت على أرض الواقع يمكن تعزيز التنمية المستدامة في مجالات الماء، والهواء، والحيوان، والنبات.
4. الإرشادات النبوية حول الماء والحيوان والنبات تدفع نحو تبني التقنيات الحديثة؛ مثل: تحلية المياه والري بالتنقيط للحفاظ على الموارد.

ثانيا: توصيات البحث:

1. الاعتزاز بالتراث الحديثي فيما يخص التنمية المستدامة ومحاولة استدامة استخراج كنوزه باستمرار.
2. بلورة التوجيهات النبوية الشاملة في شكل قوالب جديدة ومعاصرة.
3. لفت عناية الباحثين والمهتمين إلى استخراج مزيد من أصول وقواعد التنمية البيئية المستدامة المبثوثة في نصوص السنة النبوية مع محاولة تنزيلها على أرض الواقع.
4. إطلاق مبادرات مجتمعية تستند للتوجيهات النبوية.

المصادر والمراجع

المؤلفات:

- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 1998م.
- الاستذكار، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، المحقق/ سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
- الإسلام والبيئة، السيد الجميلي، مركز الكتاب للنشر، الإسكندرية، 1997م.
- الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، حلاق محمد صبحي، دار الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ط1، 2007م.
- الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبد المجيد عمر النجار، دار العلم، الكويت، ط 2، 1979م.
- البيئة والبعد الإسلامي، فؤاد عبد اللطيف السرطاوي، دار المسيرة، عمان، 2000م.
- تفسير الموطأ، عبد الرحمن بن مروان القنازعي، المحقق/ عامر حسن صبري، دار النوادر، ط1، 2008م.
- التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية، محروس أحمد غبان، دار الإيمان، المدينة المنورة، ط2، 2009م.
- التنمية المستدامة فلسفتها وأساليبها، عثمان محمد غنيم، وماجدة أحمد أبو زنط. دار صفاء، عمان، 2007م.
- التنمية في الإسلام، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م.
- التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، المحقق/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 2001م.
- التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1985م.
- الخلافة في الأرض، أحمد حسين فرحات، دار الأرقم، الكويت، 1986م.
- دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، جمال عبدلي، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1984م.

- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، دار المعراج الدولية للنشر (ج5-1)، دار آل بروم للنشر والتوزيع (ج40-6)، ط1، 1996–2004م.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق/ شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد اللطيف حرز الله، وأحمد برهوم، ومحمد كامل قرة بللي، وهيثم عبد الغفور، وجمال عبد اللطيف، وسعيد اللحام، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، تحت إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.
- السنن الكبير، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المحقق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 2011م.
- سنن سعيد ابن منصور، سعيد بن منصور الخراساني، المحقق/ حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، 1982م.
- شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، تحقيق وتعليق وتخريج: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط2، 2009م.
- شرح النووي على مسلم، المسمى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1972م.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م.
- صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.

- صحيح البخاري، (الْجَامِع الْمسند الصَّحِيح الْمُخْتَصر من أُمُور رَسُول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2002م.
- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق وتعليق وتخريج: محمد مصطفى الأعظمي، مراجعة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، دار المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، (المسند الصّحيح المختصر من السّنن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ) مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1955م.
- الطبيعة، الحضارة، الإنسان، توقانيروف، ترجمة: رضوان القضماني ونجم خريط، دار الغابلي، بيروت، 1987م.
- فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري، حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري، دراسة وتحقيق وتخريج: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، ط1، 2018م.
- فلسفة التنمية: رؤية تربوية إسلامية. إبراهيم أحمد عمر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الخرطوم، ط2، 1992م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1938م.
- قانون حماية البيئة مقارنًا بالقوانين الوضعية، أحمد عبد الكريم سلامة، القاهرة، 1996م.
- قضايا البيئة من منظور إسلامي، عبد المجيد عمر النجار. مركز البحوث والدراسات، 2000م.
- كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، طرابلس، لبنان، 2017-12/27-26م، ضمن سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات، مركز جبل البحث العلمي.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق/ علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
- مسند أبي بكر الصديق، أبو بكر أحمد بن علي المروزي، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، دار المكتب الإسلامي، بيروت.
- مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995م.
- مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار)، أبو بكر بن أبي شيبة، المحقق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، 1989م.
- معالم السنن، حمد بن محمد الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1932م
- معالم القربة في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين، دار الفنون «كمبردج».
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، حقيق وتعليق: محيي الدين ديب ميستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1996م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993م.
- المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، محمد محمود السرياني، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2007م.
- المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، الدار العربية، بيروت، 2001م.
- موطأ مالك، مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1975م.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيزري، المحقق/ السيد الباز العريني، تحت إشراف: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م.

الرسائل والبحوث والمقالات والمواقع الإلكترونية:

- الإسلام وحماية البيئة، قضايا إسلامية، آمنة نصير، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، عدد: 76.

- التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، لعبد الله بن جمعان الغامدي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد والإدارة، عدد: 1 عام: 2009م.

- التنمية المستدامة بين إيديولوجيا الشمال ومأزق الجنوب: دراسات في التنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، عدنان ياسين مصطفى، بحوث الندوة الفكرية التي نظمها قسم الدراسات الاقتصادية في بيت الحكمة فبراير 2000م، بيت الحكمة، بغداد، 2001م.

- دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة، مؤتمر البيئة في الإسلام، أحمد هليل، مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، 26-27 أيلول 2010، مؤسسة آل البيت، عمان-الأردن، 2001م.

- العالم الإسلامي والتنمية المستدامة، الخصوصيات والتحديات والالتزامات: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزارة البيئة، دراسة: العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة. جدة، السعودية 2002م، نشر: منظمة إيسيسكو، الرباط، المغرب: 2002م.

- مستقبلنا المشترك، اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، ترجمة محمد كامل عارف، مراجعة علي حسين حجاج، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989م.

- المسلمون يستهلكون يوميا أكثر من 32 لتر يوميا في الوضوء، الخطاف زمان، صحيفة الشرق الأوسط العدد 10341.

- منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، عدنان الصمادي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة 17، العدد 51.

- وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم: دلالاتها وأبعادها الحضارية، محمد زرمان، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد: 16. 1998م.

- منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابط https://2u.pw/FNDqrybs